جوتفريد فلهلم ليبنتز وفلسفة النسق الكوني

د.آسيــا واعــر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار – عنابة، Assia.ouar@univ-annaba.dz

تاريخ الإيداع: 2023/03/09 **تاريخ المراجعة:** 2023/04/16 **تاريخ القبول:** 2023/04/25

ملخص

يعتبر البحث في المجال الأنطولوجي من أساسيات الفكر الفلسفي بإطلاق، ذلك أنّ البحث في الوجود هو بالدرجة الأولى بحث في القضايا الميتافيزيقية التي سعى العقل الفلسفي لإيجاد حل لها، هاته القضية نجد إرهاصاتها الأولى مع الفلسفة الطبيعية منذ عصور ما قبل الميلاد بتباين الأفكار والحجج التي وردت في هذا الصدد، ليستلهم منها لاحقا الفيلسوف الألماني "جوتفريد فلهلم ليبنتز"(1646-1716) م ما يخول له من تأسيس لرؤاه فيما يتعلق بتحليل جزئيات النسق الكوني، معتمدا في ذلك على ما انتقده من فلسفات سابقة وعلى المنهج الرياضي الذي أمده بحقيقة البعد الأنطولوجي لهذا العالم بشقيه المادي والروحي من خلال مصطلح أساس ألا وهو المونادولوجيا.

الكلمات المفاتيح: أنطولوجيا، نسق، ذرة، جوهر، مونادة.

Gottfried Wilhelm Leibniz and the Philosophy of Cosmological Format

Abstract

Research in the field of anthropology is one of the bases of philosophical thought, it is research on the pathophysical problems to which the philosophical mind has sought to find a solution. This matter, the first prejudices of which were with natural philosophy, to inspire the German philosopher Gottfried Wilhelm Leibniz (1646-1716) to establish his vision of fragment analysis of the cosmic format. He relied on the philosophical ideas he criticized and his way of appreciating the reality of the anthropological dimension of this world with its material and spiritual qualities through the term: monadology.

Keywords: Ontology, format, atom, essence, monad.

Gottfried Wilhelm Leibniz et la Philosophie du format Cosmologique

Résumé

La recherche dans le domaine de l'anthropologie est l'une des bases de la pensée philosophique, c'est une recherche sur les problèmes patho-physiques auxquels l'esprit philosophique a cherché à trouver une solution, Cette pensée, dont les premiers précurseurs sont apparus avec la philosophie naturelle,a inspiré le philosophe allemand Gottfried Wilhelm Leibniz (1646-1716) l'aidant à établir sa vision de l'analyse des fragments du format cosmique. En s'appuyant sur ce qu'il a critiqué pour donner des idées philosophiques de la dimension anthropologique de ce monde avec ses qualités matérielles et spirituelles à travers le terme: «monadologie».

Mots-clés: Anthologie, format, atome, essence, monade.

المؤلف المرسل: د.آسيا واعـر، assia.ouar@univ-annaba.dz

- توطئة (مقدّمة):

يعتبر المبحث الأنطولوجي من أبرز المباحث الفلسفية بإطلاق، والتي عكف العقل الفلسفي على خوض غمارها والبحث في إشكالاتها المتنوعة، ذلك أنّ البحث في الوجود هو بحث في حقيقة وغاية تواجد الذوات الإنسانية. ويمكن القول إنّ هذا المبحث قد كان – ولايزال– المبحث الأساس الذي سعى إليه العقل الفلسفي، جاهدا ليقف على حقيقة أبعاده، كان هذا منذ عصور ما قبل الميلاد وتحديدا مع الفلسفة الطبيعية، إلى يومنا هذا، وكل، قد كانت له رؤاه الفلسفية التي أدلى بها في تحليل هذا البعد.

ومع واحد من العقل الفلسفي الألماني، نجد **جوتفريد فلهلم ليبنتز" (Gottfried Wilhelm Leibniz)** الذي تناول تحليل القضية من منطلق رياضي صرف، الأمر الذي أدى إلى نتائج تضرب أعماق الصورية، ومنه إلى طرح إشكال حقيقة النسق الكوني عند ليبنتز.

إنّ أهمية دراستنا هاته تتمثل في تبيان الرؤى الفلسفية للفيلسوف الألماني "ليبنتز" ومدى مصداقية ما ذهب إليه، في أنّ حقيقة هذا العالم إنما هو وحدة مترابطة فيما بينها، تشكل المنظومة الأنطولوجية التي خفق كثيرون في أن يتوصلوا إلى حقيقتها، ذلك أنّ المنهج الذي اعتمده "ليبنتز" في دراسته هاته لم يكن لأن يوصله إلا إلى نتائج صادقة خالية من التناقض ومن الأخطاء، فلسفة رآها البعض أنها تهدف وتسعى إلى تحقيق الوحدة بين الذوات، وإلى تحقيق التآلف بين أفرادها.

اعتمدنا في دراستنا هاته على المنهج التحليلي، والمنهج النقدي والمنهج المقارن لنصل إلى نتائج نرى أنّ لها من القيمة العلمية والمعرفية ما يضاف إلى الدرس الفلسفي إجمالا.

فلسفة لايتسنى لنا أن نقف على أبعادها إلا بعد المرور بالنقاط التالية:

1- الفلسفة وسؤال الأنطولوجيا:

1-1- ماهية الأنطولوجيا - Ontology-:

الأنطولوجيا علم الأيس، الكون ككون أو علم الوجود "باب من أبواب الفلسفة ينظر عقلا في "الكون من حيث هو كون[1]، إذ يمكن القول إنّ المبحث الأنطولوجي هو مبحث أساس في الفكر الفلسفي وهذا من حيثية البحث عن حقيقة الوجود الإنساني ببعديه الروحي والمادي، إشكالات أثيرت منذ أزمنة ما قبل الميلاد وهي تسعى لإيجاد استفسارات وحلول حول حقيقة هذا الوجود، وجود العالم والكون ابتداء، فوجود الذوات الإنسانية فضلا عن الغاية المرجوة من هذا الوجود، قضايا أثارها – ولايزال– العقل الفلسفي بغية الوصول إلى كنه الحقائق وجوهرها لأنّ هذه الأخيرة تعد بشكل أو بآخر عصب الفكر الإنساني برمته.

يُعد إعمال العقل في الجانب الكزمولوجي أولى بدايات الفكر الفلسفي، وكان هذا تحديدا مع رواد الفلسفة الطبيعية، التي اهتمت بالنظر في الطبيعة بالدرجة الأولى وهذا ما سنحلله في العنصر الموالي.

1-2- الفلسفة الطبيعية -natural philosophers–:

يمكن القول إن الفلسفة الطبيعية قد أخذت النصيب الأوفر من الدرس والتمحيص من قبل ثلّة من فلاسفة اليونان **كطاليس الملطي –Thalès- (624 – 546) ق. م.أنكسمندرس – Anaximandre (610– 546)** ق.م، **هراقليطس – Héraclit– (535– 470) ق. م**، وغيرهم[2]، ليستمر البحث في هذا المجال مع أساطين الفلسفة اليونانية وتحديدا مع كل من **أفلاطون –Plato –(427- 347) ق.م**، الذي بين الفارق الكامن بين الطبيعيات وما وراء الطبيعة وهذا في أنّ الأولى تكون "معرضة التغير"، وأما الثانية فهي "معرض الثبات"، أما

أرسطو طاليس – **Aristote (384–322) ق.م** الذي جمع آراءه وفلسفته في الطبيعة في مصدره "علم الطبيعة" والذي تضمن ثمانية كتب حلّل فيها قضايا عدّة من بينها: مبادئ الموجود، في الطبيعة، حد الحركة، في المكان وفي الخلاء وفي الزمان، في الحركة، في قابلية الحركة للتجزئة، في أبدية الحركة وكلها قضايا تصب في تحليلات جزئيات البعد الأنطولوجي للطبيعة[3]، ودون أن نخوض في تفاصيل هاته القضايا لأنّ الموضع لا يتسع لها، فإنا نذهب إلى أنّ كل من المواقف السالفة الذكر قد قاربت ولحد ما، ما جاء به العلم لاحقا، حتى وإن كنا نعلم أنّ الفكر الفلسفي اليوناني قد أقيم أساسا على الميثوس، ذلك أنّ الأسطقسات الأربعة التي قال بها هؤلاء، ووردت سواء بصيغ منفردة أو مجملة، نجد أنها قد وردت بشكل أو بآخر في القضايا التي أشاد به العلم وهو يبحث عن أصل هذا العالم.

تجدر الإشارة إلى أنه قد كان من بين هؤلاء الفلاسفة الذين أدلو بدلوهم في تحليل الجانب الكزمولوجي لهذا العالم حول أصله ومنشئه، من اهتدى إلى دقائق الأمور وجزئياتها هذه الأخيرة التي عُوّل – في فترة زمنية– على أحدث الوسائل التقنية التي مكنت من الاهتداء إليها!، وهذا ما سنحلله في العنصر الموالي.

2- إرهاصات أولية – الفلسفة الذرية–:

2-1- ماهية الذرة – Atom:

الذرة هي أبسط جزء ينحل إليه الجسم، هي "الجزء الفرد أو الجزء الذي لايتجزأ، وجاء في تعريفها من قبل المتكلمين أنها الجوهر الفرد ذو وضع لا يقبل القسمة أصلا، لا قطعا، ولا كسرا، ولا وهما ولا فرضا، أما المحدثون فقد أطلقوا لفظ الذرة على أصغر جزء من عنصر مادي ما، يصح أن يدخل في التفاعلات الكيماوية، كما أطلق اللفظ على أجزاء فيزيائية محدودة ومنفصلة لا تقبل الانقسام"[4].

ومهما يكن من أمر فإنّ البداهة الأولى تربط الحديث عن الذرة بالقضايا الفيزيائية عموما باعتبار أنّ هاته الأخيرة المجال الخصب للتوغل في مبحث الذرات وتراكيبها، ومع هذا ننوّه أنّ الإرهاصات الأولية لقضية الذرة لم يكن لها لأن ترتبط بالوسائل التقنية المتطورة التي تمكنت من الكشفت عنها، وإنما سبق وأن قال بها العقل اليوناني في أزمنة ما قبل الميلاد وتحديدا مع كل من ديمقريطس ولوقيبوس وغيرهم ممن شكلوا المدرسة الذرية في الفكر اليوناني.

2-2- المذهب الذري – "ليوسيبس Leucippus– ديمقريطس Democritus (460– 370) ق.م:

يُنسب المذهب الذري أو مذهب الجوهر الفرد –Atomism– إلى ليوسيبس الذي لا نعرف شيئا من تاريخه، إذ "لا يذكر متى ولد ولا متى توفي ولا شيئا عن تاريخه"[5]، كما ينسب إلى ديمقريطس هذا الأخير الذي ما إن يُذكر اسمه حتى نجد أنفسنا نتوغل في ما أتى به من حيثيات الذرة، إلا أنه وتوخيا للدقة والموضوعية ننوه أنّ " ليوسبس هو واضع الأساس، وأنّ ديمقريطس هو الذي أقام البناء وأخرج منه الفصول والفروع، كما أنّ له الفضل الأوفر في إذاعة المذهب حتى كان له من الشيوع ما جعله خليقا بالذكر والتسجيل"[6].

لم يكن القول بالذرة إبداعا صرفا للثنائي "ليوسبس وديمقريطس"، وإنما كان إمبذوقليس الذي استلهم موقفه من فلسفتي بارمندس وهرقليطس، الذي خص مادة الوجود بالدوام كما ذهب إلى أنها تتألف من ذرات، فكان بذلك أول القائلين بأنّ الأجسام تتكون من ذرات "لم ينقص عددها ولن ينقص، ولم تزد ولن تزيد من الأزل إلى الأبد، فهي باقية خالدة، وأما التغير والتحول فيكمن في انضمام الأجزاء إلى بعضها وفي انفصالها[7]؛ فكان أمبذوقليس الجامع لآراء أعلام المدرسة الطبيعية وهذا بإرجاعه أصل مادة العالم إلى الأسطقسات الأربعة، ومدى تفاعلها في

الاتصال والانفصال الذي ينشئ الأشياء، وأنّ الاختلاف في مابين الأشياء إنما يكمن في الاختلاف في نسبة المزيج بين العناصر، كما يشكل "الحب والنفور" أساس ما تلتئم به العناصر وتنحل على التوالي.

كانت هناك نقائص[8] وتناقضات عدة في ما ذهب إليه "أمبذوقليس"، الأمر الذي استدركه في ما بعد أصحاب المذهب الذري.

تُنسب النظرية الذرية عادة إلى "ديمقريطس"، نظرية تضرب أعماق إشكال "الوجود النهائي"، أي ذلك التصور للجزئيات اللا متناهية وغير المنقسمة في الخلاء، ولقد اعتقد ديمقريطس أنّ"طبيعة الأشياء الأبدية هي موجودات صغيرة، غير محدودة العدد، بالإضافة إلى افتراض المكان على أنه لا متناهي في الامتداد"[9]، لذا يمكن القول إنّ الذرة في مفهوم ديموقريطس هي عبارة عن جزئيات نهائية، كما كان يذهب إلى أنها "أشياء حقيقية" لاوهمية، وإذا كنا نضبط تصور ديمقريطس لطبيعة الذرة، نقول إن " –جميع الذرات– كائنات متجانسة تماما في الجوهر المادي، كما نوه بالاختلافات الثلاثة للذرات والمتمثلة في: الشكل والوضع والنظام، عبر عنها بـ: الاتزان، والدوران، والتماس على التوالي، وهذا ما يشكل العلّة الأولى في اختلاف الأشياء، من ثقل الذرات خلال الدوران السريع، وتركيباتها المختلفة في الأجسام، والتأثير الذي ينتج في الحواس، تأثير راجع إلى مدى تباين هاته الذرات الأمر الذي يفسر ما أتى به لاحقا من رؤى فلسفية في الحواس.

أما فيما يتعلق بالتركيبة الجزئية للأجسام، ومدى تأثير هذا على بنيتها من صلابة وثقل، وليونة وخفة، فهذا راجع إلى أنّ "الذرات المتحركة، في كل الاتجاهات، خلال الخلاء، تتصادم وتتزاحم، وفي بعض الأحيان تتشابك الواحدة منها بالأخرى، وتبقى في تجاور يكّون تجمعات جديدة من المادة المحاطة بالخلاء، وتختلف هذه التجمعات في عدد الذرات التي تتضمنها، وفي قوة أو تراخي وحدتها، وطبقا لهذه الاختلافات يُحدد الحجم والشكل والكثافة والثقل للمركب الجديد[10]. يكتسب الجسم من خلال التفاعلات بين ذرات الجسم الواحد مواصفاته وخصائصه.

وقد خص "ديموقريطس التركيب الذري للأجسام " بكامل المنظومة الكزمولوجية، ونقصد بهذا أن قد ذهب إلى أنّ الكواكب بما فيها الشمس القمر فالذرة تشكل في تركيب كل واحد منها أيضا، أي أنّ الذرة تعد تركيب الأجسام السماوية، كما أضاف أنها تتألف من "ذرات ناعمة ومستديرة، كما هو حادث بالنسبة للنفس، فالشكل المستدير وكما تنص عليه النظرية الذرية يرتبط بالحركة ومن ثمة يرتبط بالنار[11]!. ولا نعلم إن كان قد استلهم هذا الرأي من النظرة السطحية لكوكب الشمس أم من قضايا أخرى.

أما عن الظواهر الطبيعية "كالرعد والبرق، والسحب والأمطار"، فقد فسرها ديمقريطس وحلّلها، فرأى أنّ "الرعد يحدث بواسطة التجمعات غير المستوية للذرات، والتي تجبر السحابة التي تحيط بها على الاتجاه إلى الأسفل، والبرق هو تصادم السحب، وبسبب هذا التصادم تجتمع أجزاء النار الناتجة معا، كلما احتكت الواحدة منها بالأخرى، خلال فتحات الخلاء العديدة في مكان واحد تخرج منه. والصاعقة تنتج عندما تتكون الحركة الهابطة في سحابة ما من أجزاء النار الناتجة، التي تكون أنقى وأدق وأكثر استواء وأنسب إحكاما. والأمطار العمودية أو الدوامة تحدث حينما تمزج تجمعات النار بخلاء أكثر في أماكن خلو تام، وبنوع من الأغشية الخاصة التي تحيط بها، ومن ثمة تتكون في أجسام ترجع إلى هذا الخليط ذي العناصر المتعددة وتهوي إلى الهاوية[12]، وهنا نجد أنّ الظواهر الطبيعية هي الأخرى قد أنسبها ديمقريطس إلى مدى تفاعلها مع بعضها البعض، والأمر نفسه بالنسبة إلى ظاهرة الزلازل فحسب رأيه، أنّ الأرض "تكون مليئة بالمياه، وتستقبل كمية كبيرة من الأمطار، وهي تتحرك

بهذه الوسائل، لأنه حينما تفرط المياه في الزيادة بحيث لا تستطيع الأماكن الفارغة أن تحتويها، فإنّ هذه المياه تأخذ طريقها قسرا ومن ثمة تسبب زلزالا[13]، إلى غيرها من الظواهر الطبيعية والتي أراد – ديمقريطس– أن يجد لها تحليلا علميا بواسطة كل ما يحدث، ويُنسب هذا إلى الذرة باعتبارها الجوهر الفرد الذي لا يخلو أي جسم كان منه.

لذا يذهب "**برتراند رسل Bertrand Russell**" (1872–1970) م، ونحن نوافقه في ذلك إلى أنّ وجهة نظر الذريين قد كانت قريبة الشبه مما يقوله العلم الحديث[14] فضلا عن ما أتوا به في هذا المجال والذي يتجاوز ولحد ما، النظرة الميثوسية التي أسقطت على هذا المبحث، لأنّ العلم قد توصل وبأحدث الوسائل التقنية إلى ما ذهب إليه هؤلاء في أنّ كل شيء مكون من ذرات، هاته الأخيرة التي لا تقبل الانقسام من الوجهة المادية[15]، وإن تكن قابلة للانقسام من الوجهة الهندسية. كما أنّ الذرات وكما أشرنا سابقا يفصل بعضها عن بعض فراغ، يستحيل فناؤها، وأنها كانت منذ الأزل، وستظل إلى الأبد في حركة دائمة، وأنّ هنالك من هذه الذرات عددا لانهاية له، بل لانهاية لعدد أنواع الذرات التي تختلف بعضها عن بعض في الشكل والحجم، كما تختلف أيضا – وحسب ما أتى به أرسطو– في درجة الحرارة وتكون الذرات ذات الحجم الكروي أشد في درجة حرارتها من باقي الذرات ذات الأشكال الأخرى، لأنّ الذرات الكروية هي ذرات خاصة بتركيبة "النار"، كما تختلف فيما بينها في ثقلها[16].

تجدر الإشارة إلى أنّ كل ما أتى به العقل اليوناني وهذا في تحليله للمبحث الكزمولوجي، وفي بحثه عن أصل هذا الكون وعن المادة الأولية التي أحدثته، إلا ونجد أنّ جميع الأقوال قد اتفقت على أنّ الأسطقسات الأربعة:– الماء، والهواء، والتراب، والنار– فضلا عن "الذرة"، التركيبة الأساس والأصل لكل موجود في هذا الوجود، وهذا ما نجد له جانبا من الصحة في مباحث العلم، وفي أقواله. ومع هذا نجد أنّ واحدا من العقول الألمانية قد نقض الذريين لعدم تمكنهم من ضبط حقيقة الدلالة فكيف ذلك؟

3- جوتفريد فلهلم ليبنتز والمونادولوجيا – مذهب الذرات الروحية–:

لا نكاد نذكر الفيلسوف الألماني "جوتفريد فلهلم لينتز" إلا ونذكر معه مصطلح "المونادولوجيا"، دلالة أراد بها أن يقدم رؤاه الفلسفية للبعد الأنطولوجي بشقيه الروحي والمادي، كما نضيف أننا نرى أنّ مذهب لينتز إنما أتى في مقابل المذهب الذري، فإذا كان هذا الأخير قد أرجع أصل العالم إلى الذرة نجد ليبنتز قد أرجعها هو الآخر إلى الذرة إلا أنها ذرة من نوع مغاير ومباين تماما لما مر بنا في هذا المبحث، وحتى نستسيغ فكر ليبنتز لابد لنا من أن نقف معه في تحديد دلالة المصطلح الذي أسس لفكره الفلسفي.

3-1- ماهية المونـاد –Monade–:

أصل المصطلح، "لفظ يوناني: **Monas, monados**، معناه الوحدة، أطلقه الفيلسوف اليوناني "أفلاطون" على المثال، كما أطلقه بعض أفلاطوني القرن الثاني عشر على "الله" من حيث هو واحد وبسيط. كما استعملها كل من جيوردانو– برونو، وهنري مور للدلالة على العناصر المادية، أو الروحية البسيطة، التي يتكون منها العالم. والمنادية **Monadisme** مذهب من يرى أنّ العالم مؤلف من مونادات، أي من وحدات فردية محددة، تخضع لمبدأ روحي داخلي يوحد اختلافها؛ والمونادولوجيا **Monadologie** مصطلح أطلقه اردمان على الرسالة التي ألفها "لينتز" "لأوجين أمير سافوا" عام 1714م، ونشرت بالفرنسية لأول مرة مع مجموعة من مؤلفات "لينتز" وكان هذا عام 1849 م[17]، هذا فيما يخص المفهوم العام للدلالة أما عن المؤسس لها ميثافيزيقيا فهي ترجع إلى "ليبنتز".

2-3- المونادة في مفهوم ليبنتز:

إنّ أول ما يلفت انتباه القارئ لفلسفة لينتز وتحديدا لمصدره "المونادولوجيا"[18] يلحظ وبكل سهولة أنّ لينتز يعتبر المونادولوجيا مبادئ لفلسفته، أي أنه يمكن القول إنّ مصطلح المونادة ودلالته قد كان يُشكل اللبنة الأساس في فلسفة ليبنتز.

يضبط ليبنتز دلالة المونادة في ما خطه من "المونادولوجيا" على أنها "جوهر بسيط يدخل في المركبات، والبسيط عنده بمعنى أنه دون أجزاء، والجواهر البسيطة ضرورية لأي جسم مركب، والبسيط إنما هو ما لاجزء له، والذي يدخل في تركيبة المركبات.

اصطلح ليبنتز على المونادة بعدة مرادفات، منها: جوهر، وصور جوهرية، ووحدات حقيقية، وقوى أولية، وذرات، ونقط ميثافيزيقي[19]؛ قصد بها ذرات روحية تقابل ما أتى به المذهب الذري في التركيبة الأولية للأجسام، ليجد ليبنتز أنّ في مذهبهم هذا– المذهب الذري– ثغرة، والمتمثلة في أنّ الأجسام ومهما كان حجمها ضئيلا إلا وكان لها امتداد، وكل امتداد قابل للتجزئة فكيف يجوز لجسم ممتد في المكان والزمان أن يكون بسيطا!؛ لنجد أنّ العلم في نتائجه قد أثبت وعزز من رأي ليبنتز حين تبين أنّ للذرة جزيئات أصغر منها تتمثل في البروتون والنترون، لذا كان البسيط – الجوهر والجزء الذي لايتجزأ– وحسب رأي ليبنتز لايكون متموضعا في عالم الحس وإنما يكون في العالم المجرد الروحي ومن ثمة كانت المونادات جواهر روحية.

وعلى هذا يمكن القول إنّ المونادولوجيا، أو المونادات، علمونسق فلسفي يرتبط بميثافيزيقا ليبنتز المتأخرة، ومفاد المبدأ الأساسي في علم المونادات: الجواهر المفردة الأساسية التي تكون العالم كينونات تشبه الأرواح، ليست ممتدة، ومن ثمة فإنها لامادية[20].

ووجب ضبط ما قال به فيها، من أنها من دون أجزاء، أي أنّ عناصر المونادة، لا تشغل مكانا في الفضاء، تماما كالأفكار البسيطة المتواجدة ضمنيا في الأفكار المركبة والتي لا تشغل مكانا[21]، وهذا يدل على أن الطبيعة الروحية للمونادات، هاته الطبيعة التي يرى فيها ليبنتز أنها الأساس الأول لقيام البعد الأنطولوجي.

3-3- المونادة وحقيقة التأسيس الأنطولوجي:

ذهب ليبنتز في حقيقة تصوره للبعد الأنطولوجي، أنه يرتكز أساسا على البعد الروحي وتحديدا على "المونادة"، هاته الأخيرة التي كشف عنها من خلال التجربة الباطنية التي نلتمس منها جانبنا الروحاني، وندرك أنه جوهر غير قابل للتجزئة، إنه ذرة روحية لاجسمية، إنه "**الأنا**"، الذي أشعر به، الأنا الذي: يفكر، يحس، يريد، إنه جوهر واحد غير قابل للتجزئة إنه "**الوحدة**"–"**المونادة**"

والعالم بأسره عند ليبنتز مكون من "مونادات" مماثلة للمونادة التي يعثر عليها كل واحد منا بواسطة تجربته الباطنية. وحتى يتأسى ليبنتز الدقة يحدد المونادة في عملية "الإدراك"، إذ يرى أنّ المونادة التي عثرنا عليها في داخلنا هي "الإدراك" "Perception"؛ وهي أيضا نزوع "Appetition"، "tendency" ميل، وهو أول محرك للإرادة، يدفع بها – بالمونادة– من أن تمر من إدراك إلى إدراك آخر، ووجود هذا النزوع في المونادة يفسر اللّذات والآلام، التي نشعر بها والرغبات والشهوات المتولدة عنها[22].

إلا أنّ كل مونادة تدرك العالم من جهة خاصة بها، وإذا كان ليبنتز قد خص المونادة بطبيعتها الروحية فهذا لأنه اعتبرها "إدراكا ونزوعا"، والإدراك عنده يتضمن النزوع. هذا الأخير الذي يتمثل في المجهود التي تقوم به المونادات، التي تسعى جاهدة إلى الاقتراب من الإله الكامل الذي يسود الكل باعتبار أنها آلهة صغيرة.

ومن منطلق هاته الموناد التي اكتشفناها في داخلنا، يسترسل لينتز في تفسير موناد بقية الذوات، من خلال الموناد القائمة فيها، وبالتالي موناد هذا العالم بأسره[23]، من: جماد، نبات، حيوان؛ معتمدا في ذلك على نظريته الرياضية في حساب اللامتناهيات– والتي لا يسمح المقام وبأي حال من الأحوال أن نتوغل فيها، لما يستدع هذا من وجوب التحليل الكافي حول فلسفته الرياضية، ونرى أنّ هذا يحيد بنا بشكل أو بآخر عن لب تحليل إشكال ورقتنا البحثية–، وهذا يدل على مدى اعتماد المنهج الرياضي والأساليب الرياضية في تحديد طبيعة النسق الكوني.

يرى ليبنتز أنّ الإدراكات تختلف فيما بينها في درجات التمييز والوضوح، وإذا كانت الموناد هي في حد ذاتها وكما أشرنا أعلاه أنها "إدراك ونزوع"، فنكون تبعا لذلك بإزاء موناد متنوعة متباينة في ما بينها في الدرجة لا بالطبيعة. والجوهر الفرد عند ليبنتز – الموناد– يعبّر عن جملة الكون على طريقته، وفي أنّ كل الأحداث التي ستقع له متضمنة في تصوره ومعها جميع ظروفها وكل سلسلة الأشياء الخارجية[24]، وقد أجملها في عناصر تالية:

3-3-1- الموناد الدنيا:

الموناد الدنيا وهي حاصلة على إدراك ضعيف غير واقع في الشعور، كما أنها حاصلة على نزوع مماثل لهذا الإدراك، وإنما كان نزوعها غير مضاء بنور العقل وهو مجرد ميل، لاإرادة.

3-3-2- موناد أسمى تأتي مباشرة الموناد الدنيا:

هي موناد في درجة أسمى، نجدها عند النبات، وموناد أرقى من موناد النبات نجدها عند الحيوان الذي يختص بإدراكات مشعور بها، يقوم عليها التذكر إلى جانب الإدراكات الضعيفة غير المشعور بها؛ والإدراكات المشعور بها هي وحسب "ليبنتز" تأتي بأعمال تحاكي العقل إلا أنها تختلف عنه. ويعزز ليبنتز موقفه هنا بالكلب– أكرمنا الله وإياكم– الذي يخاف من العصا ويفر منها، كل ما رآها، فالكلب هنا لا ينفر من العصا لأنّه يتعقل تبعاتها وإنما جاء فعله هذا عن طريق – ردة الفعل النابعة من غريزته– Reflex

موناد الحيوان= إدركات ضعيفة غير مشعور بها+إدراكات مشعور بها+ تذكر

وهي ماتعرف بالأرواح Ames[25]

3-3-3- موناد أسمى من موناد الحيوان:

تلي موناد الحيوان موناد أرقى من الأرواح وهي الأنفس، وفي كل نفس نجد إدراكات واضحة، وشعورا، تذكر وتعقلا:

موناد الإنسان= إدراكات واضحة+ شعورا + تذكر+ تعقل

وهي ما تعرف بالأنفس Esprits[26]

3-3-4- منتهى الموناد:

لم يخص ليبنتز الموناد بما هو متناه – الذوات البشرية– وإنما خصها أيضا باللامتناهي، ويقصد به "الله"، وهي الموناد التي يكون فهمها واضحا تمام الوضوح، يدرك منذ الأزل بواسطة الحدس، يدرك كل ماهو حقيقي كما يدرك كل ماهو ممكن، كما أنّ إرادته تكون منقسمة إلى إرادة سابقة، تكون متجهة نحو الخير المطلق الكامل، وإرادة لاحقة، تُحدث أحسن العوالم الممكنة[27]. باعتبار صفاته التي يستمد منها خلقه وصفاته وخصائصه.

أما عن البراهين التي اعتمدها في إثباته لوجود مونادة المونادات – الله–، أنه يستحيل تعليل منشأ العالم، والحركات الحادثة فيه، كما يستحيل تفسير الغائية الحادثة في العالم دون أن يكون لمنتهى المونادات وجودا. لذا انبنى تصور ليبنتز لهذا العالم على أنه مجموعة عظيمة متماسكة من المونادات[28]، تسعى جميعها إلى مونادة المونادات أي تسعى إلى الله، باعتبار أنّ هذا الأخير يشكل الخلق الأول لها كما يشكل نهاية مسيرتها، فكل المونادات تبدأ منه وتنتهي إليه، لأنه الخالق الأوحد لها[29]. كما أنه حاكم يسعى لوضع نظام محكم، لذلك فإنّ ما يقرره، صادر عن العقل ويخص خير رعيته ومصلحتهم[30]، لذا كان التصور الذي أمده ليبنتز للإله تصورا ينم عن عقلية مؤمنة تحاول قدر الإمكان أن تضفي عليه صور الخير المحض.

4- المونادة بين الحقيقة والتراهة:

لم تستغ ثلة من العقول الفلسفية ما ذهب إليه "ليبنتز" في فكرة –المونادة– والتي جعل منها أساس البعد الأنطولوجي، الذي فلسفه من حيثية مجردة ميثافيزيقية، ومن بين الانتقادات التي وجهت إليه ما يلي: إذا كانت مونادة المونادات أساس هذا الكون ومنطلقا ومنتهى كل المونادات، باعتبارها المونادة المطلقة، فكيف نعلل وجود الشر مع القول أنّ الله كامل وقد أحدث أحسن العوالم؟ ومفاد هذا الإشكال أنّه وإذا اعتبرنا كما اعتبر "ليبنتز" أنّ منتهى المونادات – الله– مطلق كامل، خال من كل نقص، فكيف يتسنى أن نعلل وجود النقص والشرور في هذا العالم، هل هذا يعني أنّ الكامل يُصدر الناقص، وأنّ الشر ينبثق من الخير المحض، وهذا تناقض يرفضه المنطق بشكل صريح.

لم يجد "ليبنتز" أي صعوبة في الرد على من انتقده، وهذا يدل على مدى ثقته بأفكاره التي نهلها من منهجه الرياضي الجبري، الذي يلتمس الدقة وتكون الأفكار من خلاله في سياق محكم لا تحتمل أدنى لبس أو تناقض، وهذا ما سيتبين من رده:

ذهب ليبنتز إلى أنّ هناك شراميثافيزيقيا، وشرا طبيعيا– فيزيائيا، وشرا خُلقيا:

4-1- الشر الميثافيزيقي:

صد "ليبنتز" بالشر الميثافيزيقي، عدم الكمال الفيزيائي، وعدم الكمال الخلقي، وعدم الكمال العقلي، المتواجد في المخلوقات، وكل هذا إنما هو من باب ما فطر المخلوق عليه، أي أنّ المخلوق ناقص ولا يمكن له وبأي حال من الأحوال أن يتقاسم الكمال مع المطلق المنفرد بهاته الخاصية لوحده، فخاصية النقص إنما هي خاصية لاتفارق المخلوق، لذا يتساءل ليبنتز عن أي من اتهم الله بأنه قد أصدر وأحدث عدم الكمال[31]!

4-2- الشر الفيزيائي:

والأمر نفسه بالنسبة للألم، كيف للمطلق وكيف للخير المحض أن تَصدر عنه آلامٌ وشرورٌ، وهنا يستوقف "ليبنتز" تأملنا ويشد انتباهنا إلى أنه لا معنى لأي منا أن يدرك حقيقة الخير إلا بما يقابلها، فوجود الشر في العالم ليس غاية في ذاته وإنما كان لابد منه لمعرفة الخير، فالله يسمح بالألم لأنه ضروري بل هو سبيل الخير الأسمى، فلولا الألم لما عرفنا اللّذة، ولولا التعب لما عرفنا الراحة، ولولا المرض لما عرفنا الصحّة، ولولا الأذى لما عرفنا العافية، وقس على هذا باقي القضايا، هذا من جهة ومن جهة أخرى يعلل "ليبنتز" وجود الألم بأنّ "الله" عادل وبه وحده يعاقب المجرمين على آثامهم وعلى تجاوزاتهم اللاّ– أخلاقية[32].

3-4- الشر الخُلقي:

والخطيئة هي الأخرى موجودة في هاته المنظومة الكونية، وحسب فلسفة "ليبنتز" فهي الأخرى صادرة عن "الله"، إلا أنه يحل المعضلة بالقول إنه لا يمكن أن نقول إنّ الله "يريد الخطيئة، أو أنّ الله قد خلق الخطيئة، بل وكما هو متعارف عليه نجده قد حرمها؛ وبالنظر إلى أنفسنا نجد أننا مرغمون في بعض الأحيان على الخيار بين شرّين، وكذلك الله عند ليبنتز فقد اختار أقل الأمرين سوءا، فإما أن لا يخلق شيئا، أو أن يخلق أحسن العوالم مع قبول بعض النقائص الخلقية، فاختار أقل الأمرين سوءا وهذا بأن خلق هذا العالم على شاكلته، هكذا يبرئ "ليبنتز" الله من عمل الشر"[33]، كما يذهب إلى أنّ الله لا يمكن أن يفعل ما يتعارض مع قوانين المنطق، إلا أنه يمكن أن يقضي بما هو ممكن منطقيا، ويترك هذا له نطاقا كبيرا من الاختيار[34].

ومنه إلى طرح إشكال آخر والمتمثل في: كيف يكون الإنسان مسؤولا عن أفعاله وتحديدا عن ذنبه والله يعلم منذ الأزل أنه سيخلقه ليذنب؟!

خاتمـــــة:

أول ما ابتدأ البحث في البعد الأنطولوجي، ابتدأ من حيثية كوزمولوجية صرفة، كان هذا مع الفلسفة الطبيعية، منذ عصور ما قبل الميلاد، ورغم ما أدلوا به من مباحث مختلفة متباينة فيما بينها، إلا أنّ الإشكال كان – ولايزال– يُعد من أكبر المباحث الفلسفية بإطلاق، ذلك أنّ هم الممارسة الفلسفية هي أن تبحث عن حقيقة هذا الوجود بشقيه المادي والروحي.

لتأتي الفلسفة الألمانية وكعادتها ومع واحد من أعلامها ألا وهو "**جوتفريد فلهلم ليبنتز**"بفلسفة لم يسبق لها مثيل، منطلقا من منهج رياضي، –المنهج الذي يطول تحليله في هذا المقام مما اظطررنا لأن نشير إليه فقط ومن دون دراسة مستفيضة له لأنّ المقام لايسمح–، ليصل إلى فلسفة تضرب أعماق الميثافيزيقا وهذا فيما أسس له من ركيزة للبعد الأنطولوجي في ما أسماه بالمونادة والتي تؤسس بشكل أو بآخر لنسق كوني قائم بذاته.

كانت إرهاصات المونادة من قبيل المذهب الذري الذي عرفه الفكر اليوناني في حقب مضت، لينهل منها ليبنتز فكرة أساس هذا الوجود، الذي ما من شيء أو دابة فيه إلا وتعزى إلى المونادة والتي تختلف فيما بينها بحسب ما تملك من حدس ومن قوى في الملكات العقلية، فرتبها وفقا لذلك ترتيبا تفاضليا يبدأ وينتهي من مونادة المونادات، وهو –الله–، الأمر الذي أدى بنا إلى القول بمقاربة لما أتى به أفلوطين في قضية الفيض الإلهي، في اعتبار اللامتناه أساس والمبدأ الأول والأخير للمنطومة الأنطولوجية.

ومهما يكن من أمر فإننا نرى أنه ليس من السهل أبدا أن يستسيغ العقل ما ذهب إليه "ليبنتز"، لأنّ هذا يتطلب منا درجة من التجريد وفهما دقيقا لحيثيات ما يحلله من رؤى فلسفية كانت قائمة أساسا على ما يملك من رصيد في الرياضيات، وكأن لسان حاله يقول: صدق أفلاطون حين كتب على باب أكاديميته: لا يدخل الأكاديمية من لم يدرس الهندسة"، لما يتطلب من ذهنية رياضية دقيقة يتسنى لها أن تهضم وأن تستسيغ القضايا الفلسفية كما أراد لها أصحابها أن تكون.

الإحالات والهوامش:

1- أندري لالاند (2001)، موسوعة لالاند الفلسفية،تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، م 2، ص 911.

2- آسيا واعر (2022)، سؤال الأنطولوجيا – من مبحث الأسطقسات إلى مبحث الدازاين–، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، منشورات جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2، م 8، عدد3، الجزائر، ص ص 539– 543.

3- أرسطو طاليس (1925)، علم الطبيعة، تر: بارتلمي سانتهلير، دار الكتب المصورة، القاهرة.

4- جميل صليبا (1982)، المعجم الفلسفي،(د–ط)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج 1، ص 588.

5- أحمد أمين، زكي نجيب محمود (1935)، قصة الفلسفة اليونانية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ص 69.

6- المرجع نفسه، ص 70.

7- المرجع نفسه، ص 70.

8- تفاصيل هذا ارجع إلى: المرجع نفسه، ص 71–72.

9- علي سامي النشار، (1972)، ديموقريطس فيلسوف الذرة، وأثره في الفكر الفلسفي حتى عصورنا الحديثة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، الإسكندرية، ص 17.

10- المرجع نفسه، ص 43.

11- المرجع نفسه، ص 58.

12- المرجع نفسه، ص 61.

13- المرجع نفسه، ص 61.

14- برتراند رسل، (2010)، تاريخ الفلسفة الغربية، تر: زكي نجيب محمود الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص 126.

15- سنرى لاحقا كيف أنّ العلم قد تجاوز هذا. انظر ص 06.

16- برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، مرجع سابق، ص 127.

17- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، م س، ج 2، ص 451–452.

18- Leibnitz, (2000), La Monadologie et autre textes, Editions eBooks, France

19- غوتفريد فيلهلم ليبنتز، (2015)، المونادولوجيا، تر: ألبير نصري نادر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 43.

20- تد هوندرتش (2003)، دليل أكسفورد للفلسفة، تر: نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتطوير، ليبيا، ج 3، ص 897.

21- ليبنتز، المونادولوجيا، مصدر سابق، ص 44.

22- المصدر نفسه، ص 22.

23- المصدر نفسه، ص 23.

24- ليبنتز (2006)، مقالة في الميثافيزيقا، تر: الطاهر بن قيزة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 120.

25- المصدر نفسه، ص 24.

26- المصدر نفسه، ص 24.

27- المصدر نفسه، ص 24.

28- برتراند رسل، (1977)، تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثالث، الفلسفة الحديثة، تر: محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص 154.

29- ليبنتز، المونادولوجيا، ص 25.

30- ليبنتز، مقالة في الميثافيزيقاا، مصدر سابق، ص 66.

31- المصدر نفسه، ص 33.

32- المصدر نفسه، ص 34.

33- المصدر نفسه، ص 34.

34- برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، مرجع سابق، ص ص 143– 150.

قائمة المصادر والمراجع:

- أندري لالاند (2001)، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط 2، بيروت.
- أرسطو طاليس (1925)، علم الطبيعة، تر: بارتلمي سانتهلير، دار الكتب المصورة، (د–ط)، القاهرة.
- جميل صليبا (1982)، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، (د–ط)، بيروت.
- أحمد أمين، زكي نجيب محمود (1935)، قصة الفلسفة اليونانية، مطبعة دار الكتب المصرية، ط 2، القاهرة.
- علي سامي النشار، (1972)، ديموقريطس فيلسوف الذرة، وأثره في الفكر الفلسفي حتى عصورنا الحديثة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط 1، الإسكندرية.

- برتراند رسل، (2010)، تاريخ الفلسفة الغربية، تر: زكي نجيب محمود الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- غوتفريد فيلهلم ليبنتز، (2015)، المونادولوجيا، تر: ألبير نصري نادر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت.
- ليبنتز (2006)، مقالة في الميثافيزيقا، تر: الطاهر بن قيزة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت.
- تدهوندرتش (2003)، دليل أكسفورد للفلسفة، تر: نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتطوير، ليبيا.
- آسيا واعر (2022)، سؤال الأنطولوجيا – من مبحث الأسطقسات إلى مبحث الدازاين–، مجلة العلوم الإنسانية.

والاجتماعية، منشورات جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2، عدد 3، م 8، ديسمبر، 2022 م.

- Leibnitz, (2000), La Monadologie et autre textes, Editions eBooks, France.